



عاقبة طغيان قارون

(028) سورة القصص

الدرس السابع عشر - شرح الآيات 79-83

2019-11-01

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى صحابته الغر الميامين أمناء دعوته وقادة ألويته وارضَ عنا وعنهم يارب العالمين، وبعد.
هذا هو اللقاء السابع عشر من لقاءات سورة القصص، ومع الآية التاسعة والسبعين وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَكُوْهُ عَظِيمٌ

(سورة القصص: الآية 79)

كما أسلفنا سابقاً سورة القصص فيها قصتان:

1. قصة موسى مع فرعون
2. قصة قارون

* قصة موسى مع فرعون: تمثل قصة موسى كليم الله مع القوة السياسية الطاغية في عصره وهي قوة فرعون.

* قصة قارون: وهو من قوم موسى أيضاً، هذا الربط (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى) كما مر معنا، تمثل القوة المالية أو القوة الاقتصادية الضاربة أيضاً وحال الناس معها وطريقة تعاملهم مع المال ومع الدنيا.

تكبر وغطرسة قارون

فالآن قارون متكبر متغطرس، جمع مالاَ كثيراً، ويبدو أنه جمعه مما حَلَّ ومما حَزَمَ كما أن السياق يوضح ذلك، ثم استعلى به على عباد الله، يعني هو لم يسأل نفسه لا من أين اكتسبه ولا فيما أنفقه، فاستعلى به على عباد الله عز وجل ونسب الفضل إلى نفسه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي

(سورة القصص: الآية 78)

ثم فوق ذلك هو يتابع استعلاءه فتأتي الآية الآن التاسعة والسبعين قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ

(سورة القصص: الآية 79)

وهذا دليل على التكبر والتغطرس، والدليل على رغبته في أن يقهر الناس، هناك حالة متقدمة جداً عند من يجمع المال ويكنزه، وقارون أيضاً ممن كنز المال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأْتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ

(سورة القصص: الآية 76)



قارون قهر الناس بما عنده

فهذا قارون وصل إلى مرحلة متقدمة جداً في قضية كنز المال، وهي مرحلة أنه يريد أن يقهر الآخرين بما عنده من مال بما يظن أنه قد أوتيته على علم عنده، فيريد الآن أن يقهرهم، يعني يخرج عليهم في زينته هذه مرحلة متقدمة جداً في البعد عن الله عز وجل، متقدمة بمعنى أنها تأتي في آخر المطاف، بهذا المعنى، فبعد أن يستعلي ويستكبر ويجمع المال مما حُلَّ وحرِمَ وينسب الفضل إلى نفسه، الآن ينتقل إلى قهر الناس بما عنده.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ

(سورة القصص: الآية 79)

متزبن بما عنده من مال، سواءً زينة اللباس، كل عصر له زينة، اليوم يمكن أن يخرج بموكب سيارته، هذه (في زينته)، اليوم يمكن أن يخرج في موكب من السيارات والخدم والحشم والمرافقة، هذه زينة العصر، فلكل عصر زينته، فقارون (خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) باللباس، ربما بالعباءات، ربما بالناس الذين يحيطون به، ببعض الذهب، (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ).

قارون هو مادة امتحان من الله

الآن قارون هو مادة الامتحان، الله عز وجل يمتحنه ويمتحن به، فالآن عندما خرج على قومه أصبح بعد أن كان ممتحناً أصبح هو مادة الامتحان.



مادة الامتحان مختلفة

يوجد ممتحن وممتحن ومادة، الذي يمتحننا ويبتلينا هو الله جلّ جلاله، دائماً هو المبلي والممتحن جلّ جلاله، الذي يُمتحن هو الإنسان لأنه المخلوق المكلف، الإنسان والجان، مادة الامتحان مختلفة، أنت في كل لحظة عندك مادة للامتحان، أحياناً يغنيك فيمتحنك، وأحياناً يفقرك فيمتحنك، وأحياناً يجمعك بصلاح من الصالحين فيمتحنك، وأحياناً يجمعك بطالغ من الطالغين فيمتحنك، ففي كل لحظة أنت تتعرض لامتحان، ردّ فعلك على هذا الامتحان هو موقفك، موقفك تحاسب عليه عند الله، هذه هي حقيقة الحياة الدنيا.

فقارون عندما خرج على قومه في زينته الآن هو مادة امتحان، الناس سينظرون إليه، وكل إنسان سيأخذ موقفاً، وكل إنسان سيحاسب بناءً على هذا الموقف الذي أخذه، طبعاً المواقف كثيرة، كل إنسان أخذ موقف، يعني لو كان موجود عند قارون أو حوله لما خرج؛ لو رآه مئة إنسان فهناك مئة موقف.

مواقف الناس من قارون

لكن هل يمكن أن نأبى بين هذه المواقف في زميرين كبيرتين؟ نعم، هذا ما فعله جلّ جلاله، هما في النتيجة موقفان لا ثالث لهما.
الموقف الأول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

(سورة القصص: الآية 79)

الموقف الأول هو موقف أشخاص يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

انظروا إلى التعبير القرآني؛ قلت سابقاً وأقول: القرآن الكريم والسنة النبوية والإسلام لا يدّمون الدنيا بمعنى الترك، بمعنى الاستغناء عنها، وأدّل دليل على ذلك (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا)

{ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى

يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا }

(رواه البخاري)



الدنيا عندما تُستهدف تنقلب إلى شقاء

فلو كانت الدنيا مذمومة بمعنى الدَّم المطلق فما معنى أن يغرس الفسيلة! لو كانت الدنيا مذمومة ذمًّا مطلقاً فما معنى أن رابات المسلمين وصلت إلى مشارق الأرض ومغاربها! فالمسلمون عمروا الأرض، وأقاموا استخلاف الله عزَّ وجلَّ في الأرض حقَّ الإقامة، فليس هناك ذمَّ للدنيا مطلق بمعنى المطلق، لكن لما يقول تعالى: (قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) يريدونها ولا يعملون فيها، يريدونها ولا يعمرن الأرض، يعني جعلوا الدنيا هدفاً لهم، والدنيا عندما تُستهدف تنقلب إلى مبدأ شقاء، كل شيء في الحياة تجعله هدفاً (من اللذائذ) ينقلب إلى شقاء في المحصلة، الإنسان يحب المرأة، أودع الله في داخله حباً للنساء، كما أودع في النساء حباً للرجال، الآن عندما يتزوج في مرضاة الله عز وجل يُنجب ويحقق هذه الشهوة في طاعة الله عز وجل، لكن عندما يجعل اللذة هدفاً له فيبدأ من هنا إلى هنا، إلى إطلاق بصر، إلى لقاءات لا ترضي الله، إلى خلوة لا ترضي الله، إلى مصافحة، إلى كذا، فهو يستهدف اللذة بعينها، هذه اللذة ستنتقل إلى شقاءٍ عليه لأنه استهدفها، أرادها، نحن لا نريد الدنيا، نحن لا نريد الدنيا نريد الآخرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا

(سورة الإسراء: الآية 19)

العمل في الدنيا وليس للدنيا



العمل يكون للآخرة

نحن لا نريد الدنيا لكننا نعمل في الدنيا، نحن لا نعمل للدنيا نعمل للآخرة، ولكننا نعمل في الدنيا، هذا هو فقط الفهم أو محاولة التوأمة بين أن الإسلام لا يذمُّ الدنيا وفي الوقت نفسه الإسلام لا يريدك أن تعمل للدنيا، اعمل للآخرة، ولكن (لا تنسَ نصيبك من الدنيا) كما مر قبل قليل لأنها مطيئة إلى الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَائْتِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا

(سورة القصص: الآية 77)

فقط أن نفهم حقيقتها لا أن نترك العمل فيها.

فهؤلاء (يُريدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) جعلوا هدفهم هو الحياة، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم ماذا كان من دعائه؟ كان يدعو فيقول: "اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همًّا ولا مبلغَ علمٍنا"

{ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَلَّمَا كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهِؤَلَاءِ الدَّعْوَاتِ اللَّهُمَّ أَفْسِمْ لَنَا مِنْ حَسْبَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبْلُغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا يَهْوُونَ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ تَارَتَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا }

(رواه الترمذي)

الدنيا هم من الهموم لكنها ليست أكبر هم، أكبر همٍّ لدينا ما هو؟ الآخرة، أن نصل إلى رضوان الله، الدنيا همٌّ من الهموم، أمَّا أن تكون الدنيا أكبر همٍّ وأن نسعى لها، وأن نبذل من أجلها، وأن نحضي من أجلها، وأن ننفق الوقت من أجلها، عندها سنتقلب إلى شعاعٍ علينا، نسال الله السلامة.

الفريق الأول تمنوا أن يكون لديهم ما لدى قارون

فهؤلاء الفريق الأول (الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) وسَمَّاهَا اللهُ دُنْيَاً لِأَنَّ هُنَاكَ حَيَاةً عُثْلِيَا تَكْرِمِيَّةٌ هِيَ الْآخِرَةُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا لَيْتَ لَنَا

(سورة القصص: الآية 79)

(يَا لَيْتَ لَنَا)، و(لَيْتَ) للتمني، وكأنهم يعرفون أنهم لن يصلوا إلى قارون مهما فعلوا، لأن قارون استمد قوةً من القوة السياسية الضاربة في وقتها في عصره، وأخذ من الدنيا (مَا إِنَّ مَفَاحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ)، فكأنهم يعلمون أنهم لن يصلوا إلى ذلك فقالوا: (يَا لَيْتَ لَنَا)، و(لَيْتَ) للتمني، والتمني هو شيء يبعد تحقيقه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ

(سورة القصص: الآية 79)



الأسئلة عن الأصل والنتيجة

تمنوا أن يكون لهم (مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ)، هذه نظرة قاصرة، لأن هذا الرجل الذي خرج في زبنته؛ ما سألت نفسك من أين جاء بهذا المال؟! ولا ما الوسائل التي حصل بها هذا المال؟! ولا أين سيقوده استغلاؤه بهذا المال؟! يعني لا سألت عن الأصل ولا عن النتيجة! فهذه نظرة قاصرة جدا، سطحية، أنت رأيت إنسان في زبنته (يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ) هذا منتهى الحمق، من أين جاء قارون بماله؟ هل سألت نفسك هذا السؤال؟ ما الوسائل؟ هل هي وسائل مشروعة حتى وصل إلى المال؟ ثم بعد أن وصل إلى المال هل أنفقه في حقه؟ ثم هل سيقوده ماله هذا إلى الخير أم إلى الشر؟ قيل أن تمنى (مَا أُوتِيَ قَارُونُ) هل تعرف إلى أين سيقود قارون ماله؟ لا تعرف، هذه هي الحقيقة.



المال غير المشروع يقود إلى الهلاك

يعني إذا إنسان رأى تاجر مخدرات، بعرفنا اليوم، تاجر مخدرات ينعم بمال وفير جداً جداً، مزارع، سيارات، أموال، مرافقة، قوة، الناس يخافونه، هناك بلاد ليس فيها قوانين فهو أصبح مهاب الجانب، فنظر إليه شخص قال: باليت لي مثل ما أوتي؛ هذا جاهل، هذا حقق هذا المال على إضلال أسر، وعلى إفساد أسر كثيرة جداً، يبيعهم المخدرات والعباد بالله، ثم هل تعلم أين مصيره إن في الدنيا أو في الآخرة؟ إن أدركه العقاب في الدنيا فمصيره في سجن أو إلى إعدام، وإن أفلت من عقاب الدنيا فأمامه نارٌ لا يُنقذ عذابها، فالإنسان المؤمن عنده رؤية، عندما يرى شيئاً في ظاهره متألّق ينظر إلى ما قبله وما بعده، من أين جاء وإلى أين المصير؟ فلو دقق هؤلاء (الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) وقفوا وقفة متأبّة قالوا: هذا قارون من أين جاء بالمال؟ جاء به من مصادر غير مشروعة، بنى ثروة عظيمة من الحرام، إلى أين سيفوده ماله؟ سيفوده إلى الهلاك والدمار، هكذا يقول العقل، قيل الشرع هكذا يقول العقل فقط، فلو أنهم نظروا هذه النظرة لما قالوا: (بَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ)

تابعوا، فقالوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّهُ لَدُوٌّ حَظٌّ عَظِيمٌ

(سورة القصص: الآية 79)

ذو: يعني صاحب، إنه صاحب حظّ عظيم.

حظ: يعني له مكان أو نصيب، قيمة عظيمة.

فهؤلاء نظرتهم كانت قاصرة، هذا الفريق الأول، (إِنَّهُ لَدُوٌّ حَظٌّ عَظِيمٌ).

الآن بدأ ربنا جلّ جلاله بالذين (يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)، لماذا بدأ بالذين (يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)؟ لأنه يتوافق مع حالة قارون، لأن قارون ممن (يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)، فلما (حَرَخَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) بدأ بالذين هم من شاكلة قارون، ثم ختم بالذين (أُوتُوا الْعِلْمَ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ

(سورة القصص: الآية 80)

موقف الفريق الثاني : الذين أوتوا العلم

(وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ) (وَيَلَكُمْ) بمعنى وبكم، بمعنى ما هذه النظرة القاصرة! ما هذا الفهم السطحي!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ

(سورة الروم: الآية 7)



العلم بالله

يعني أنت لك أن تنظر بعين واحدة أو تنظر بعينين، فإذا نظرت بعين واحدة فقد ترى القوة والفلاح في جمع المال، هذا ظاهر (الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)، فإذا نظرت بعينين، بعين الدنيا وبعين الآخرة فإنك ترى أن الهلاك والدمار في جمع المال إن لم يكن من حلال وإن لم يكن إلى حلال. الآن (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) اختلفت نظرتهم، ما هو العلم الذي أوتيه هؤلاء؟ من أتاهم العلم؟ الله، (أوتوا)، ما العلم الذي أوتيه هؤلاء؟ هل كان عندهم علم بالفيزياء النووية؟ أم علم بالهندسة؟ أم علم بالطب؟ أبدأ، يعني مع كل احترامنا للاختصاصات العلمية، لكن هؤلاء (أوتوا العلم) بالله، أوتوا العلم بالله، الدليل: يقول تعالى في القرآن الكريم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْرٌ هُوَ قَائِمٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

(سورة الزمر: الآية 9)

هذا الذي يقوم بالليل ما العلم الذي عنده؟ عنده علم بالله، خائف من الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ

(سورة فاطر: الآية 28)

فهنا العلم المقصود به هو العلم بالله، الإيمان بالله، معرفة الله، هؤلاء هذا العلم الذي أوتوه، أوتوا علماً يَبَصِّرُهُمْ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ، لأن من عرف الله تعالى عرف كل شيء، ومن فاته معرفة الله فاته معرفة كل شيء. هؤلاء (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) اتجهوا فوراً إلى القسم الأول قالوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبَلَّغْتُمْ تَوَابُ اللَّهِ حَيْرٌ

(سورة القصص: الآية 80)



الثواب هو ما يعود عليك بعد الفعل الصحيح

ما هو الثواب؟ ثاب إذا رجع، فأنت تقدم عملاً فبرجع جزاؤه إليك من الله. أنت مُصَلِّ فيرجع الله عليك بالثواب سكينَةً، فبملا قلبك بالسكينة، فالسكينة ثوابٌ للصلاة، أنت تذهب إلى الحج تبذل مالاً وجهداً ووقتاً، تذهب إلى الحج فيأتي ثواب الله لك بأن يغفر لك ما تقدّم من ذنبك، ويأتي ثواب الله لك بأن تعود من ذنوبك كيوم ولدتك أمك، أنت تُقدّم زكاة المال، تقديم الزكاة فعل، إنفاق مال، يأتي ثواب الله لك بأنه يطهّر ويزكي نفسك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا

(سورة التوبة: الآية 103)

فالثواب هو ما يعود عليك بعد الفعل الصحيح، من الله، يعود عليك من الله.
فقالوا: (وَبَلَّغْكُمْ تَوَابُ اللَّهِ حَيْثُ حَيْثُ قَارُونَ، وَمِنْ زِينَةِ قَارُونَ، وَمِنْ دُنْيَا قَارُونَ، وَمِنْ مَالِ قَارُونَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَوَابُ اللَّهِ حَيْثُ لَمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا

(سورة القصص: الآية 80)

(لَمَنْ آمَنَ) الإيمان: هو الجانب العقيدي الفكري.
(وَعَمِلَ صَالِحًا): العملي.

ثوابُ اللَّهِ حَيْثُ لَمَنْ اسْتَجْمَعَ شَيْئِينَ:
* إيماناً: الإيمان هو التصديق، هو في أصله جانب إيديولوجي فكري.
* (وَعَمِلَ صَالِحًا) أي عملاً يصلح للعرض على الله، يعني عملاً ليس فيه إفساد في الأرض، وليس فيه إبداء لعباد الله (وَعَمِلَ صَالِحًا).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَوَابُ اللَّهِ حَيْثُ لَمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ

(سورة القصص: الآية 80)

(وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ) يعني ولا يُلقَى الخبر والثواب من الله إِلَّا الصَّابِرُونَ، وهذا قصرٌ وحصر، ولا يُلْقَى الآخرة إِلَّا الصَّابِرُونَ.



حاجة المؤمن إلى الصبر

(الصَّابِرُونَ) هنا، طبعاً الصبر معناه واسع جداً، لكن لو جئنا إلى سياق الآيات فالصبر هنا هو الصبر على الحرمان، مثلاً، أنت حُرمت من أشياء في الدنيا لابد أن تصبر، هؤلاء لما رأوا قارون؛ كل إنسان يرى زينة الدنيا قد يشعر بشيء من الحرمان فيصبر على ذلك، الصبر على استعلاء الظالمين يحتاج إلى صبر، عندما يطول الأمد وترى أن الظالم متمكن وأن من يملك المال ويملك القوة الإقتصادية والسياسية والاجتماعية متمكن في الأرض يفعل ما يشاء فيظن بعض ضعاف الإيمان أنه قد غلب وانتصر وانتشى وانتهى الأمر، تحتاج إليها المؤمن إلى أن تصبر على هذا الموقف، هذا موقف يحتاج صبراً، فهنا عندما نتحدث في سياق الآيات عن الصابرين نتحدث عن قيمة عالية جداً وهي الصبر.

يقول عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

هناك لذة للصبر عندما تشعر أنك تقول لله: يارب هذا فرارك أنا راض عنه، هذه حكمتك أنا راض يارب، فهذا يُشعر الإنسان بقيمة عالية، الصبر هو قيمة معنوية عالية جداً، لا يعرفها إلا من ذاق طعم الصبر، الصبر له طعم حلو، عندما يكون الإنسان قريباً من الله فالصبر حالة نفسية عالية جداً.

إذاً في محصلة الأمر نحن أمام فريقين: فريق (يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) في مقابلهم فريق (أَوْثُوا الْعِلْمَ)، إذاً الذي أوتي العلم لا يريد الحياة الدُّنْيَا، والذي يريد الحياة الدُّنْيَا لم يُؤتِ العلم، (قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا): إذا هؤلاء لم يُؤتوا العلم ولو أُوثوا العلم الحق لما أرادوا الحياة الدُّنْيَا، في القسم المقابل: (قَالَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْعِلْمَ) إذا هؤلاء لم يريدوا الحياة الدُّنْيَا أرادوا الآخرة، لأن من أوتي العلم يريد الآخرة ويعمل في الدنيا ولا يعمل لها، يملكها ولا تملكه، تنقاد له ولا ينقاد لها.

قيمة الإنسان بعلمه وعمله

(قَالَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْعِلْمَ) إذاً المشكلة الحقيقية هي في الرؤية، أن ترى الرؤية الصحيحة، الرؤية الصحيحة تأتيك من الوحي، تأتيك من الاتصال بالله تعالى، متى يرى الإنسان رؤية صحيحة؟ عندما يكون متصلاً بالله تعالى، لأن الله يعطيه الميزان، المقياس، الذي تزن به الأمور بشكلٍ صحيح.



قيمنا لتفاضل بين الناس العلم والعمل

هؤلاء (الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) وزنوا الأمور وزناً خاطئاً جداً، وزنوا الأمور وزناً خاطئاً، ظَنُّوا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أُوتِيَ مَالًا فَهُوَ ذُو حِطَّةٍ عَظِيمٍ، هذا خطأ كبير، لأن المال ليس قيمةً يتفاضل بها الناس، المؤمن يقول: هناك قيمتان للتفاضل بين الناس اعتمدهما الله: العلم والعمل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ

(سورة فاطر: الآية 10)

إذاً كيف يرتفع الإنسان بميزان الله تعالى؟ بعلمه وعمله.
كيف يرتفع بميزان من أرادوا الحياة الدنيا؟ بماله، بزنته، بقوته، باستغلائه، بعدد ما يملك من حسابات في البنوك، هذه قيم أهل الدنيا وليست قيم السماء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ

(سورة القصص: الآية 80)

الآن بسرعة خاطفة، بعد ما أعطاك ربنا عز وجل أعطاك الموقفين، بسرعة خاطفة وبكلمات معدودة لأن الأمر بيد الله، كن فيكون، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ تَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ

(سورة القصص: الآية 81)

(فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) انتهت، هي لحظة واحدة.
(فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) هو كان يمشي فيطأ الأرض بقوة ويستعلي علي عباد الله فيلحظة واحدة أصبح في باطن الأرض التي كان يتكبر فوقها، الجزاء من جنس العمل، هو كان يمشي على الأرض بلحظة واحدة أصبح تحت الأرض (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) لحظة واحدة.

العقاب الحقيقي يكون في الآخرة

لماذا يُعَجَّلُ ربُّنا عزَّ وجل أحياناً بالعقوبة في الدنيا لبعض أعدائه؟، قلت لكم سابقاً، العقاب الحقيقي في الآخرة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفْسَدُوا سُلُوكَكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

(سورة آل عمران: الآية 185)

نحن لا ننتظر في الدنيا لا ثواباً لمحسن ولا عقاباً لمسيء، لا تنتظروا، بمعنى لا تُؤَطَّنْ نفسك بأنك تريد أن ترى كل شيء في أم عينك في الدنيا، هذا ضعف إيمان بالآخرة.



العقاب الحقيقي في الآخرة

سامحوني، هذا ضعف إيمان بالآخرة، الإنسان الذي دائماً يسأل: السلام عليكم يا شيخ، وعليكم السلام، شيخي ظلمني فلان منذ ثلاث سنوات وحتى الآن لم يحدث شيء معه وأنا أدعو عليه ليل نهار؟ من قال لك أنه ينبغي أن يحدث شيء معه! ربما يحدث، ربما يُعَجَّلُ له العقوبة في الدنيا، لكن أنت تريد حقك في الدنيا أم في الآخرة؟ أنت متى تريد حقك؟ تريد في الدنيا أم في الآخرة؟ عندك إيمان بالآخرة؟!

يا شيخ هؤلاء الطغاة المستكبرون مضت سنوات، قتلوا الناس، شردوا الناس، هجروا الناس، متى موعدهم؟ موعدهم الآخرة، ربما رُثْنَا عَزَّ وجل يُعَجَّلُ للبعض في الدنيا، لكن قد يموت ولا يُعَجَّلُ له شيء من العقوبة لأنَّ الله تعالى قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّمَا تُوفُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُزُورِ

(سورة آل عمران: الآية 185)

فالدنيا لا تصلح أن تكون لا ثواباً ولا عقاباً، الدنيا في الأصل لا تصلح أن تكون ثواباً، كيف يثيبُ الله إنساناً في الدنيا؟ وكيف يعاقبُ إنساناً في الدنيا؟ إذا كانت الدنيا تصلح ثواباً وعقاباً فلا داعي للآخرة، لكن الله تعالى جعل الثواب والعقاب في الآخرة.

تعجيل العقوبة والثواب في الدنيا يكون لعلاج ضعف الإيمان



إذا جاءت الآخرة انتهى كل شيء

لكن لماذا رُثْنَا عَزَّ وجل أحياناً يُعَجَّلُ بالعقوبة في الدنيا لبعض أعدائه؟ ويُعَجَّلُ ببعض الثواب لبعض أوليائه؟ لماذا؟ لأنَّ الله تعالى يريد أن يلفت نظر هؤلاء ضعاف الإيمان، يعني هؤلاء (الذين يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) فيهم بقية خير في عهد قارون، لكن ضعف إيمانهم دفعهم أن يقولوا: (إِنَّهُ لُدُو حَطَّ عَظِيمٍ) فأراد الله أن يعيدهم إليه، مباشرة، قبل أن يفوت الأوان، لأنه إذا جاءت الآخرة انتهى كل شيء، فأراد أن يعيدهم إلى الموقف الصحيح، إلى الرؤية الصحيحة، فلاحظ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَحَسْبُنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَاتَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَافِّرُ اللَّهُ بِسَطِّ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۗ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِتَا ۖ وَيَكَافِّرُهُ
لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ

(سورة القصص: الآية 82)

(وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَاتَهُ) إذا خسف به وبداره الأرض من أجل هذه الفئة المستضعفة التي دفعها ضعف إيمانها إلى أن تظن أن قارون ذو حظ عظيم عند الله أو عند الناس مما أوتيته من مال، (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ).
(من) لاستغراق أفراد النوع.
(فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ) يعني ولا أحد نصره.



اتجاه الناس إلى صاحب المال و القوة

كيف كان موقفه وهو فوق الأرض؟ مُسْتَعْلٍ، إذا طلب ربما يشير بيده فليبيه الآلاف المؤلفة، لأن صاحب المال تتجه الناس إليه لعلهم ينالون من قوته أو من ماله أو من عطائه كما يظنون، فالناس تتجه إلى صاحب المال وإلى صاحب القوة، فلما أصبح في باطن الأرض فمن الذي يستطيع أن ينصره من الله؟ من يمد له يد العون؟ (فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَنَصِّرِينَ).

(وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَاتَهُ بِالْأَمْسِ) قبل يوم كان يمر فيقولون: (تَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) فلما صار في باطن الأرض (وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَاتَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَافِّرُ اللَّهُ بِسَطِّ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ).

معنى (وَيَكَافِّرُ)

ما معنى (وَيَكَافِّرُ)؟ حقيقةً اختلف المفسرون فيها اختلافاً كبيراً، من الناحية النحوية، بالصناعة النحوية أيضاً هناك بعض الاختلاف، لكن أكثر من قال، قالوا: هذه كلمتان، وقال بعضهم: ثلاثة، الذين قالوا: كلمتان، قالوا: (وَيُ) (كَانَ).

(وَيُ): اسم فعل مضارع بمعنى أتعجب، (وَيُ) وفي العامية موجودة، حتى موجودة في العامية العراقية يقولون: وي وي، يعني شيء يتعجبون منه.

ثم الكلمة الثانية (كَافَّرَ): كَأْتَهُ هي للتشبيه، قال بعضهم: هي بمعنى (إِنَّ)، كَأَنَّ بمعنى إِنَّ للتأكيد وليس كَأَنَّ.

وقال بعضهم: بل هم لَمَّا كانوا في حالة من الإعجاب بقارون وما أوتي من مال وما أوتي من قوة، فلما حصل ما زالوا في مرحلة كَأَنَّ الله، لم يصلوا إلى إِنَّ الله يَنْسُطُ الرِّزْقَ، يعني بالنظر إلى حالهم هم هذا الكلام، فهذا مجمل.

من الناحية النحوية أيضاً قال البعض هي: (وَيُ) (كَاف) و(أَنَّ) للتأكيد ليست (كَانَ)، (وَيُ): هي أتعجب، (كَ): الكاف للخطاب، يعني أتعجب منك من هذا الوضع، (أَنَّ)، هذا من الناحية النحوية.



معنى وكان

والبعض من المفسرين قالوا: هي معناها عند العرب تأتي هكذا (وَيَكُنَّ) والدليل أنها في الرسم العثماني لم تأتي (وَيَ) وحدها و(كأنه) وحدها، فقالوا: هي كلمة واحدة بمعنى (ألم تعلم أن)، (ألم ترى أن)، فهي هكذا، وجاءوا بأمثلة من الشعر على استخداماتها عند العرب، فالشعر ديوان العرب، فقالوا: (وَيَكُنَّ) حذها مع بعضها، لا تُفصل في إعرابها، (وَيَكُنَّ) أي (ألم تعلم أن الله)، هي لها كلام كثير لكن هذا مجمله.

(وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ) جاء بالتمني، لأن (لَيْتَ) للتمني فهم تمنوا شيئاً مستحيلاً.
(وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكُنَّ اللَّهُ) يعني ألم تعلم أن الله.
(يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ) إذا أرجعوا الأمر إلى صاحب الأمر.

الأمر كله بيد الله

الموضوع ليس ذو حظ عظيم، وليس في زنته، وليس في قوته، الموضوع أن الله تعالى لحكمة بالغة، ليتحقق الامتحان (يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ).
(يَقْدِرُ) يُصَيِّقُ، (يَقْدِرُ) أي يُصَيِّقُ، وهذا من معاني قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَطَرًا أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ

(سورة الأنبياء: الآية 87)

يُونُسَ لما ذهب في بطن الحوت، قال بعض المفسرين: (قَطَرًا أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ) يونس مستحيل أن يظن أن الله لا يقدر عليه بمعنى الضدرة، (قَطَرًا أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ) أي أن لن يُصَيِّقَ عليه في هذا الأمر، يعني أنه لك الخيار إن شئت فادعهم وإن شئت فتركهم وامض، هذه (قَطَرًا أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ) من هذا المعنى. فهنا قال: (وَيَكُنَّ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ) يُصَيِّقُ ويوسّع، وتوسيعه بحكمة، وتضييقه بحكمة، فالأمر ليس بيد فلان أو إعلان من الناس.

(لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا) حرف امتناع لوجود، لولا الله لساءت حالة المريض، فوجود الله منع أن تسوء حالة المريض.

(لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا) يعني لولا أن الله وقع منه من فضل وكرم بنا لأصبحنا بمكانه الآن، كانوا أمس يريدون مكانه في الدنيا، فأصبحوا الآن يخافون من مكانه وقد أصبح تحت الأرض، هم كانوا يريدون مكانه، اليوم (الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) (وَالَّذِينَ أَوْثُوا الْعِلْمَ) هل هناك أحد يتمنى أن يكون مكان قارون بعد أن أصبح في باطن الأرض؟!، أراهم الله مكانه الحقيقي.

المؤمن يؤمن بالغيب

المؤمن يؤمن بالغيب، قبل أن يقع الذي وقع لقارون، لا تنتظر أن يصبح في باطن الأرض، وهو فوق الأرض لا تتمنى مكانه، هذه هي العبرة في القصة، أنت مؤمن أنت تؤمن بالغيب، أنت لا تنتظر أن ترى عينك حتى تؤمن، سامحوني هذه صفة كل المخلوقات، هذه صفة جميع المخلوقات، أنت ضع يدك هنا، نملة أضعف مخلوق تمشي، أين ستقف النملة؟ عند يدك، تلف وتمشي بغير طريق، النملة عندما ترى الشيء تؤمن بوجوده وتعمل بمقتضاه، النملة، وأكبر منها وما شئت.



المؤمن ينظر بنور الله

أما الإنسان إذا كان واقفاً هناك والطريق مسدود لا يشمي ليصل لعنده، يلف من الطرف الآخر ويغير طريقه، فقط، فالمؤمن الذي أوتي العلم ينظر بنور الله فلا ينتظر الأحداث حتى تقع وإنما يصل إليها قبل أن يصل إليها بعقله وبوحي الله، قبل أن يصل إليها بجسده، لا تنتظر الأحداث حتى تقع، قارون منذ أن رأته يظلم ويُفسد ويستعلي ويخرج على قومه في زينته، قل لا أريد مكانه، لأن مكانه ليس على الأرض، مكانه في باطن الأرض، يعني لو أن قارون لم يخسف به وبداره الأرض وعاش عمراً مديداً ثم مات على فراشه أين سيدفن بعد ذلك؟ في باطن الأرض، فالنتيجة واحدة، إذا أنت أيها المؤمن تعرف مكان قارون قبل أن يصل قارون إليه، لا تحتاج إلى أن يخسف الله به حتى تؤمن، لكن الله رغم ذلك وضع لنا أحداث في التاريخ ينتصر لضعاف الإيمان ليفيقوا من سكرتهم، يعني بعض الناس لا بد لها من أن ترى شيئاً، فالله تعالى: (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) حتى يروا مكانه، لكن لا تنتظر من كل طاعة أن يخسف الله به وبداره الأرض، قد يعيش حياةً مديدة ولا يخسف به وبداره الأرض، لكن بعد ذلك يموت ويدفن في باطن الأرض ويلقى جزاء عمله عند ربه، فأنت وطن نفسك من الآن ألا تتمنى أن تكون مكان أحدٍ لا من الظالمين ولا من الأغنياء ولا من الأقوياء إلا من كان منهم في رضا الله تعالى، فتمنّ القوة وتمنّ الغنى لكن عندما يكون في مرضاة الله، لا استعلاءً ولا فخراً على عباد الله.

(لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَكَانَتْهُ) يعني نعلم الله، كما قلنا.

الفلاح مرتبة عالية جداً لا يصل إليها إلا المؤمن

(لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) الآن أصبح عندهم علم شهودي يقيني أنّ الكافر لا يفلاح، هل ينجح في الدنيا؟ ربما، لكن يفلاح مستحيل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ

(سورة المؤمنون: الآية 1)

الكافرون لا يفلاحون، الفلاح هو مرتبة عالية جداً لا يصل إليها إلا المؤمن (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ

(سورة المؤمنون: الآية 117)



الفلاح هو أن تحقق الهدف من وجودك
والفلاح هو أن تحقق الهدف من وجودك، فهل الكافر حقق الهدف من وجوده؟ لا، أطلق عليه إن شئت نجح في جمع المال، نجح في أن يعتلي منصباً رفيعاً، نجح في الظاهر، لكن هل أفلح؟ لم يفلح.
(وَيَكَايَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) يفلح المؤمنون فقط.

الدنيا قد لا تكون للمتقين

الآن أظن هذه الآية هي الآية المفصلية في السورة، وهي الآية التي نتنني على أختها في بداية السورة فتفسرها، تذكرون في بداية السورة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُمِ بَدِيحًا أُنثَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ
عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ

(سورة القصص: الآية 4-5)

هذا محور السورة ومحور القصتين، الآن ختمت القصة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تِلْكَ الدَّائِرَةُ الْأَخْرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

(سورة القصص: الآية 83)

فرعون أراد في الأرض عُلُوًّا وأراد في الأرض فساداً، (عَلَا فِي الْأَرْضِ) (إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) هذا حال فرعون في الدنيا.
(تِلْكَ الدَّائِرَةُ الْأَخْرَةُ) (تِلْكَ): (ت) اسم إشارة، (ن) اللام للبعد، (ك) الكاف للخطاب، الآخرة ليست بعيدة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَتَرَاهُ قَرِيبًا

(سورة المعارج: الآية 6-7)

لكنها بعيدة المنال، لكنها عظيمة، بُعد معنوي أكثر منه بُعد مادي، ستأتي وكلُّ آتٍ قريب،
لكن (تِلْكَ) لرفع، لرفع مكانتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ

(سورة الحجر: الآية 1)

(تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ) لرفع مكانتها، هذا البعد المعنوي، فقال : (تِلْكَ الدَّارُ الْأَجْرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ)

1- (لَا يُرِيدُونَ غُلُوقًا فِي الْأَرْضِ)

2- (وَلَا فِتْنَادًا)

لا يريد أن يستعلي على الناس ولا يريد أن يفسد في الأرض، كما كان حال فرعون، كما في بداية القصة.



الدنيا قد لا تكون للمتقين.

(وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) إذا الدنيا قد لا تكون للمتقين، انتبه (الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)، (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) يعني النهاية، يعني في الدنيا هناك بدايات لكن أنت تحتاج إلى كمالات النهايات، تحتاج إلى كمالات النهايات، العوام لهم كلمة جميلة يقولون: " الآخرة يا فاخترة " يعني انتظر لنرى الآخرة، فالعبرة بالخواتيم وليست فيما يجري الآن على الأرض.

(وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) هذه الآية قرأها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يوم غادر الدنيا، كانت آخر كلامه من الدنيا.

كان كلما دخل عمر بن عبد العزيز دار الخلافة قرأ قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ

(سورة الشعراء: الآية 205-206-207)

تَرَبَّى عَلَىٰ هَذِهِ الْآيَاتِ، جعلها عنواناً له كلما دخل دار الخلافة حتى لا تغرّه الدنيا فيتمتع بها (أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ) فلما تربي على هذه الآيات؛ يوم كان على فراش الموت أنطقه الله بهذه الآيات، قال: (تِلْكَ الدَّارُ الْأَجْرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ غُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِتْنَادًا □ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ).

كأنني كما قلت لكم هذه الآية هي المفصلة التي تتجاوب مع أختها في بداية السورة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُم مَّذَبِحًا يُذِخُّ عَنْهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ

(سورة القصص: الآية 4)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

(سورة القصص: الآية 83)

وان شاء الله في اللقاء القادم بقي لدينا بعض الآيات نُحْتَمُّ بِهَا السورة.

والحمد لله رب العالمين

نور الدين الاسلامي